انبثاق الحضارة الميكينة وانتشارها

كان انبثاقها بطيئاً وسط الاثر الحضاري الكريتي حتى العصر المتأخر هذا من الناحية الزمنية ومن هذه الحضارة وهو المسمى العصر الهلادي الثالث . وفي هذا العصر حوالي ١٤٠٠ق.م . نلمس شواهد واضحة لتدمير واسع النطاق في كريت ، يعقبه تدهور بطيء ولكنه مستمر لحضارتها كما ونلمس من جانب اخر شواهد تشير الى ازدياد قوة ميكيني وتبلور معالم الحضارة التي تمثلها – الامر الذي يشير الى غزو يوناني لجزيرة كريت .

ومهنا نشاهد الاختلاف الذي حدث كالاتي .

١. فالمقابر لم تعد تتبع الطراز الكريتي تعتمد في مناظرها على الحياة النباتية والحيوانية التي يجمعها نموذج واحد للاناء الواحد ، حيث بدأت تظهر عليها صور اشخاص بدل ذلك ، ونجد سطح الاناء يتسع لعدد من النماذج .
٢. الدرع الكريتي الكبير كان يشبه قوسين متلاصقين والذي كان يكفي لحماية الجسم بأكمله ، بدأ ينقرض ليحل محله درع اصغر واخف في الحمل ذو شكل يشبه القطاع الطولي للأسطوانة ، وبعد ذلك انقرض ليحل محله درع اكثر صغر وأخف حملا .
٣. السيوف التي انتقلت الى الميكينيون من كريت ، ظهرت سيوف تختلف عن طرازها تصلح للقطع والطعن معا .
٤. الخوذة المعدنية حلت محل الخوذة الجلدية لتقابل التحدي الجديد .
٥. الحراب ، حلت محل السيوف التي اصبحت في القرن الثالث عشر ق.م . السلاح الأساسي للمحارب .

وبهذا بدأ الحضارة الميكنية تتخلص من الاثر الكريتي لتنفرد بشخصية متبلورة مستقلة . وقد صاحب هذا التحول الاستقلالي الحضاري ازدياد في قوة ميكيني ، ظهرت هذه القوة بشكل واضح سواء في علاقة ميكيني ببلاد اليونان أو في اتصالاتها بالبلاد الخارجية .

فمن الناحية الداخلية :- نجد مناظر في اللملحمتين المنسوبتين الى هوميروس تشير إلى نوع من الولاء يربط الملوك والامراء في البلاد اليونانية المختلفة بالبيت المالك في ميكيني ، هنا حقيقتين تشير لها المصادر :-

الاولى :- العلاقة أو الرابطة بين حكام المدن اليونانية وبين ملك ميكيني ، ومهما كانت طبيعتها قوة أو ضعفا ، كانت كافية في العصر الهوميري (الذي عاصر شوطا من الحضارة الميكينية)

لان يستجيب هؤلاء الملوك لنداء ملك ميكيني ويندرجوا تحت لوائه في مشروع عسكري واحد (هو حصار طروادة) تحت قيادة موحدة تقع ضمن حقوقه الادبية ، حتى ون لم تكن لميكيني قوة الالزام في ذلك .

اما الثانية :- هي الشوط الذي شهده العصر الهوميري من هذه الحضارة كانت تقارب فيه لحظة افولها حيث تمثل صورة للقوة وللسيطرة الميكينية وهي فترة تخلخلها .

وبهذا وصلت قوة ميكينة الى ابعد من ذلك وعبرت الانهار والتلال والحصون وصلت الى مناطق كثيرة وانتشرت حضارة هذه المدينة الى العديد من المدن اليونانية ، ففي اثينا وجدت أثار قصر وحصن ومقبرة وكلها ذات طابع ميكيني ، وفي أورخومينيوس وجدت مقبرة على النمط الميكيني ، وفي مسينيه وكورنثه والمدن الواقعة في غرب بلاد اليونان وجدت اثار مشابهة تدل على مدى تأثير هذه المناطق بالحضارة وطرق الحياة التي كانت ميكيني مبعث اشاع لها .

هذا عن سيطرة ميكيني والحضارة الميكينية على بلاد اليونان الاصلية (الاوربية) .

اما الاتصالات الخارجية :- سواء كانت اتصالاتها بالمناطق التي تحف ببحر إيجة أو التي تبعد عن دائرته ، وفي هذا المجال نجد أن انتشار الانية الخزفية الميكينية وهذا دليل على انتشار قوة ميكيني والحضارة التي تمثلها ، وقد وصل حدود هذا الانتشار غربا الى صقلية وجنوبي ايطاليا ، كما ونجد أن البضائع اليونانية في هذا العصر قد بدأت بعد سقوط كنوسوس تجد طريقها شرقاً في كميات متزايدة :- فالمزهريات اليونانية التي كانت قد بدأت تصل الى مصر في القرن الرابع عشر ق.م. وجدت كميات منها في منطقة تل العمارنة ترجع الى الربع الثاني من هذا القرن وبوفرة تشير الى احتمال استيطان اليونان الوافدين من بلاد اليونان الأصلية لجزيرتي رودس وكوس في شرقي بر ايجة وعلى استيطانهم أو على الاقل انتشارهم على نقاط واسع في جزيرة قبرص . كما يوجد احتمال بانتشار هؤلاء اليونان في اسيه الصغرى في منطقتي كاريه وبامفيليه . هذا إلى جانب هجرتهم الى منطقة أو جاريت (رأس مرة حالياً) في سورية وإقامتهم هناك في هيئة جالية اجنبية وهي جالية ربما أسسها الكريتيون في فترة مبكرة في القرن الخامس عشر ق.م. ولكنها لم تلبث ان بدأت تشهد تدفق اليونان عليها بشكل متزايد .

العلاقات السياسة :- وهي لون اخر من العلاقات الخارجية مثلا العلاقات السياسية بين اليونان وبين الحيثين ، وتدل على هذه العلاقات مجموعة من الوثائق الامبراطورية الحيثية حيث تشير بشكل متكرر إلى مملكة أهياوه وعلاقته بالملك الحيثي . والنصوص التي وردت فيها الاشارات تدل على أن مملكة أهياوه هذه تقع عبر البحار أو احد السواحل ويكاد يجمع الباحثين على ان كلمة اهياوه هي التحريف الحيثي لكلمة آخيين وهو الاسم الذي سمى به اليونان في الاشعار

المنسوبة الى هوميروس .واهم ما في هذه الوثائق هو الاسلوب الذي كتبت به والاتجاه الذي يشير اليه هذا الاسلوب ،فملك الحيثيين الذي كان حاكم إمبراطورية قوية تعد من القوات العالمية بمفهوم ذلك العصر يخاطب ملك الأهياوه بلقب ((الاخ)) وفي شيء من الاحترام .

وفي بعض هذه الوثائق نجد الملك الحيثي يعترف بأن ملك الاهياوه ملك عظيم يقف على قدم المساوة مع ملوك مصر وميتاني وآشور . كذلك تشير هذه الوثائق إلى أن اخاً لملك الاهياوه كان يحكم منطقة القسم الجنوبي الغربي من آسية الصغرى وإن كان عليه أن يعتبر حكمه لهذه المنطقة منحة من ملك الحيثيين ، وفي وثائق اخرى نرى مفاوضات دائرة تعثر احيانا وتوافق احيانا أخرى بين الملكين . وآخر ما نسمعه عن هذه العلاقات هو احتجاج من جانب الملك الحيثي على ملك أهياوه على اثر غارة قام بها الآخيون على قبرص في أواخر القرن الثالث عشر ق.م. وهكذا تظهر لنا هذه المجموعة من الوثائق أن ملك الاخيين قد امتّد نفوذه إلى مناطق واسعة في شرق البحر المتوسط . كما تشير بشكل ما إلى ان هذا الملك كان يعد مسؤولا عن الاعمال الاستفزازية التي كان يقوم بها غيره من الحكام الآخيين (اليونان) وهو امر تستطيع أن تفسره بان ملك ميكيني كان أقوى ملوك اليونان في الفترة التي شهدت علاقة الحيثين باليونان ، والتي امتدت من القرن الرابع عشر ق.م. حتى نهاية القرن الثالث عشر ق.م. وأن هذا الملك كان له نوع من السلطة السياسية على بقية بلاد ليونان ، وأن كنا على وجه التحديد هذه السلطة أو حدودها .

انحدار الحضارة

على أن قوة الميكينية ، ومعها قوة اليونان لا تلبث أن تبدأ في الغروب والانحدار ابتداء من اواسط القرن الثالث عشر ق.م. حيث نجد مظاهره :-

١- في انكماش الاتصالات التجارية اليونانية مع الشرق .

٢- كما نجد الجاليات اليونانية المستوطنة في عدد من المناطق تتضاءل ثم تنعدم اثرها بالمرة :- ففي ميليتوس وكولوفون نجد فجوة زمنية واسعة بين استيطان اليونان لها العصر الميكيني واستيطانهم لها مرة اخرى في عصر متأخر . وهذه الفجوة الزمنية تبدو أكثر وضوحاً في رودس حيث يبدو أن مستوطنيها من يونان العصر الميكيني قد هاجروا منها بالجملة ربما الى قبرص . وقد استمرت هذه الفترة من التدهور اليوناني في القسم الشرقي من البحر الابيض حتى القرن الثامن ق.م.

أما مدينة أو دولة ميكيني نفسها فقد بدأت ، هي الاخرى ، في الاضمحلال والتدهور منذ أو اخر القرن الثالث عشر حتى نهاية القرن الثاني عشر ق.م. ولعل مما يشير الى ذلك اننا نجدها في القرن الثالث عشر تزيد من تحصيناتها الدفاعية وتبدأ في الاهتمام بحماية مواردها المائية ،

كما أن هناك احتمال بأنها أقامت صومعة كبيرة لتخزين الغلال كإجراء وقائي اذا حدث أي هجوم الى المدينة . ولعل ما حدث في حالة ميكيني حدث مثله في اماكن أخرى من بلاد اليونان ، إذ نشاهد في هذه الفترة استعدادات تحصينية مشابهة في حصن الاكروبوليس في اثينه.

وفي هذه الفترة من التدهور نستطيع ان نضع من الناحية التاريخية حصار اليونان لطروادة الذي خلده شاعر الإلياذة في ملحمته كومضة اخيرة من ومضات الصراع اليوناني في سبيل القوة الخارجية وفي وقت كانت في قوتهم قد شارفت نهايتها من الناحية الفعلية .

وفي الواقع فان حصار طروادة الذي خلدته هذه الملحمة المنسوبة الى هميروس ، بما كان يرمز إليه من استخدام القوة في سبيل التوسع الخارجي هو اخر منجزات الحضارة الميكينية . ولكن يبدو أن هذا النوع من النشاط الخارجي قد جاء في وقت لم يكن فيه لدى اصحاب الحضارة الميكينية كل مقوماته ، ومن ثم فقد أرهقهم وفتت قواهم اكثر مما زاد في سيطرتهم وصلابتهم .ولعل خير دليل على ذلك هو أن ملحمتي الإلياذة والأوديسية حيث يذكر فيها الشاعر توحد الملوك وتجمعهم على غزو طروادة واسقاطها بالرغم من ذلك الان كل واحد منهم يحاول ترتيب أموره في دولته دون ان يدري عن الاخرين شيئا ودون ان يعنيه من امر الاخرين شيء.

٣- في ذلك الوقت الذي انتهى حوالي ١١٠٠ق.م. بدأت تتدفق على بلاد اليونان (الواقعة في الجزء الجنوبي من شبه جزيرة البلقان) موجات عارمة من الغزاة والمهاجرين المسلحين من الشمال . هؤلاء هم قبائل الدوريين الذين انقضوا على أماكن الحضارة الميكينية وعلى ما تبقى من مراكز الحضارة المينوية ، فدمروا كل شيء وحطموا كل شيء ودفعوا امامهم كل شيء وادت هجراتهم هذه المندفعة من الشمال الى هجرات اخرى فرعية قام بها الذين فروا امامهم من اهل البلاد الاصليين في بلاد اليونان ، فهاجروا عبر بحر ايجة شرقاً حتى وصلوا الى الساحل الغربي لشبه آسية الصغرى واستقروا هناك .

وقد كان من جراء هذا الغزو الدوري الذي استمر حتى ١٠٠٠ق.م. وما ترتب ليه من القضاء على مراكز الحضارة الموجودة آنذاك دخلت المنطقة في عصر الظلام نسيت فيه منجزاتها الفنية والثقافية وحتى حروف الكتابة التي كانت تستخدمها ، وخرجت السيطرة البحرية في بحر ايجه من يد اليونان الى الفينقيين ، تخلخلت سلطة البيوت الحاكمة القديمة وأصبح النظام السائد في المجتمع اليوناني يقوم على أساس من التجمعات السكانية القبلية أو القروية . وقد امتدت هذه الفترة من عهود الظلام من ١٠٠٠ الى ٨٠٠ ق.م.